ألف حكاية وحكاية (١٣)

شاى وفطائر

وحكايات أخرى

يرويها
يعقوب الشارونى



رسوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
- الفجالة - القاهرة

لا ذم ولا مدح

قالَ شاعرٌ للخليفةِ "عبدِ الملك بن مروان":

"أريدُ أن أقولَ لك شيئًا".

قالَ عبدُ الملك:

"قلْ ماشئْتَ".

فقالَ الشّاعرُ:

"واللَّهِ إنّي أريدُ أن أمدحَكَ".

قالَ عبدُ الملك:

"لا تمدحْني، فأنا أعلمُ بنفسي منكَ. ولا تبالغْ بالأكاذيبِ، فإنَّه لا رأْيَ لكاذبٍ. ولا تذُمَّ عندي أحدًا، فإنَّ ذمَّ الآخرينَ في غيابِهم ذنبٌ وإثمٌ".

فقالَ الشّاعرُ:

"واللَّه ماتركْتَ لي موضعًا لكلمةٍ".

وانصرفَ الشّاعرُ بغيرِ أن يقولَ شيئًا.





الكثرة والقوة

فى غاباتِ أمريكا الجنوبيَّةِ، يتكاثرُ النَّملُ أحيانًا، وتزحفُ منه جيوشٌ تقضى على كلِّ شيء.

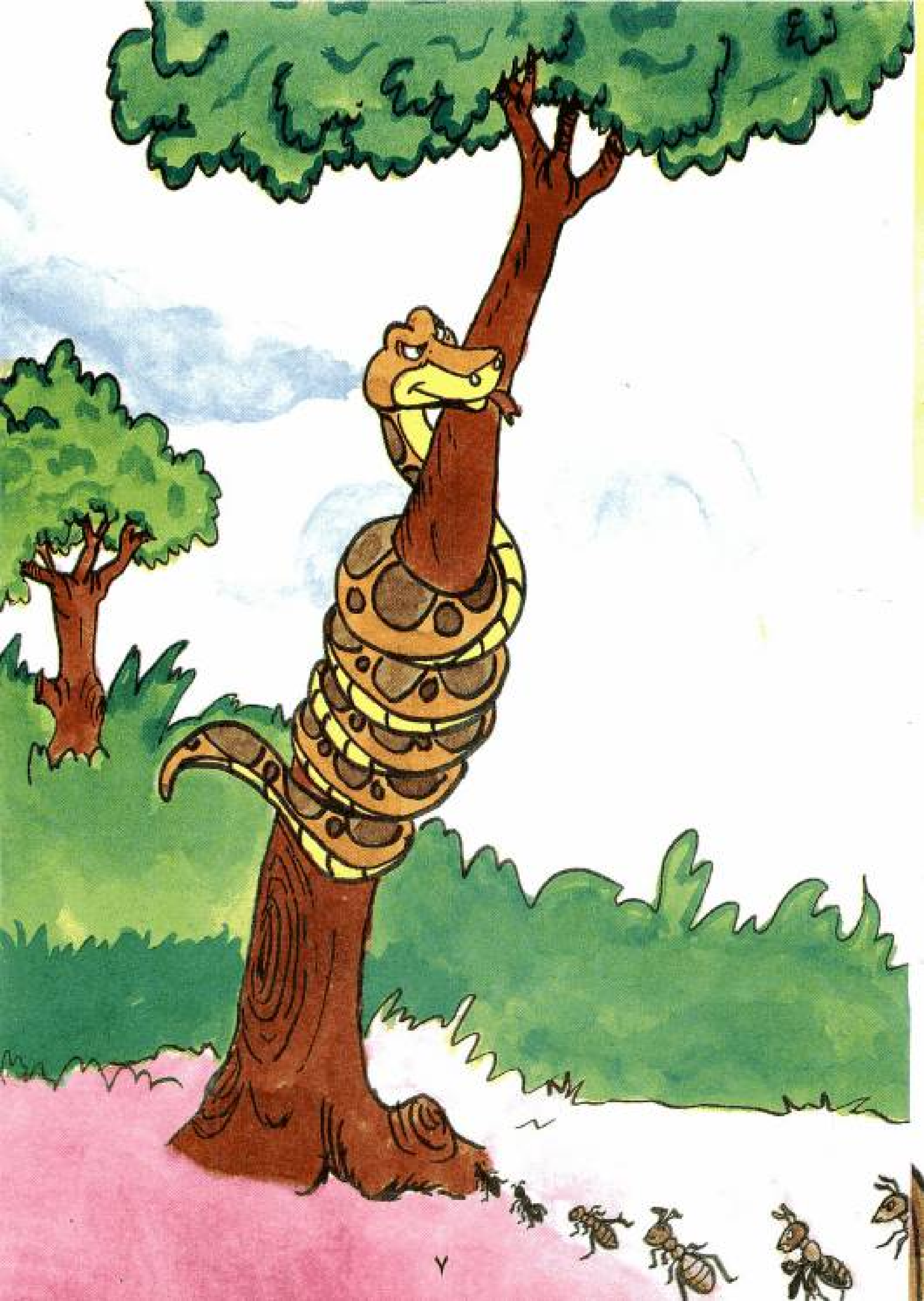
وذاتَ مرةٍ، كان هناك ثعبانٌ هائلٌ من نوعِ "الأصَلَة"، الذى يقتلُ فرائسَهُ بأن يلتفَّ حولَها ويعصِرَها. كان ذلك الثعبانُ قد التفَّ حولَ خنزيرٍ برىٍّ متوحشٍ كبيرٍ، فهشَّمَ عظامَه ثم ابتلعَهُ، والتفَّ على جذعِ شجرةٍ، ونامَ حتى يهضمَ ما التهمَهُ.

وشمَّ جيشُ النَّملِ رائحةَ الطَّريقِ الذى سلكَهُ الثعبانُ الهائلُ، حتى وصلَ إلى الشجرةِ التى التفَّ حولَها. وأخذَ النَّمْلُ يصعدُ على جسمِ الثُّعبانِ الهائلِ الَّذى كان مستغرقًا فى النَّومِ، وكأنَّ التُّخْمةَ قد خدَّرَتْه، فلم يشعرْ بجيوشِ النملِ التى تزحفُ على جسمِه.

وكان أولُ ما فعلَه النملُ، أنَّه دخلَ عينَىِ الثعبانِ، فأكلَهما وأعماهما. ولم تنفعْ حركاتُ الثعبانِ فى إبعادِ جيوشِ النملِ عَنْ عينَيْهِ، فقد دخلَ منهما إلى رأسِهِ، وأصابَهُ بالشَّلَلِ. ثم استمرَّ بقيةَ اليومِ يلتهمُ لحمَهُ التهامًا، حتى تركَهُ عظامًا عاريةً.

وفى آخرِ النَّهارِ، تجمَّعَ النملُ على هيئةِ كرةٍ، ونامَ الليلَ إلى الصباحِ، ليبحثَ عن فريسةٍ أخرى يتغلَّبُ على قوَّتِها بكثرتِه.





السبب فى حالتها !!

ذاتَ صباحٍ، انتابَتْ أُمًّا لأربعةِ أبناء نوبةٌ عصبيةٌ، وفقدَتِ السيطرةَ على نفسِها، وأخذَتْ تحطِّمُ كلَّ أثاثِ المطبخِ وأدواتِهِ.

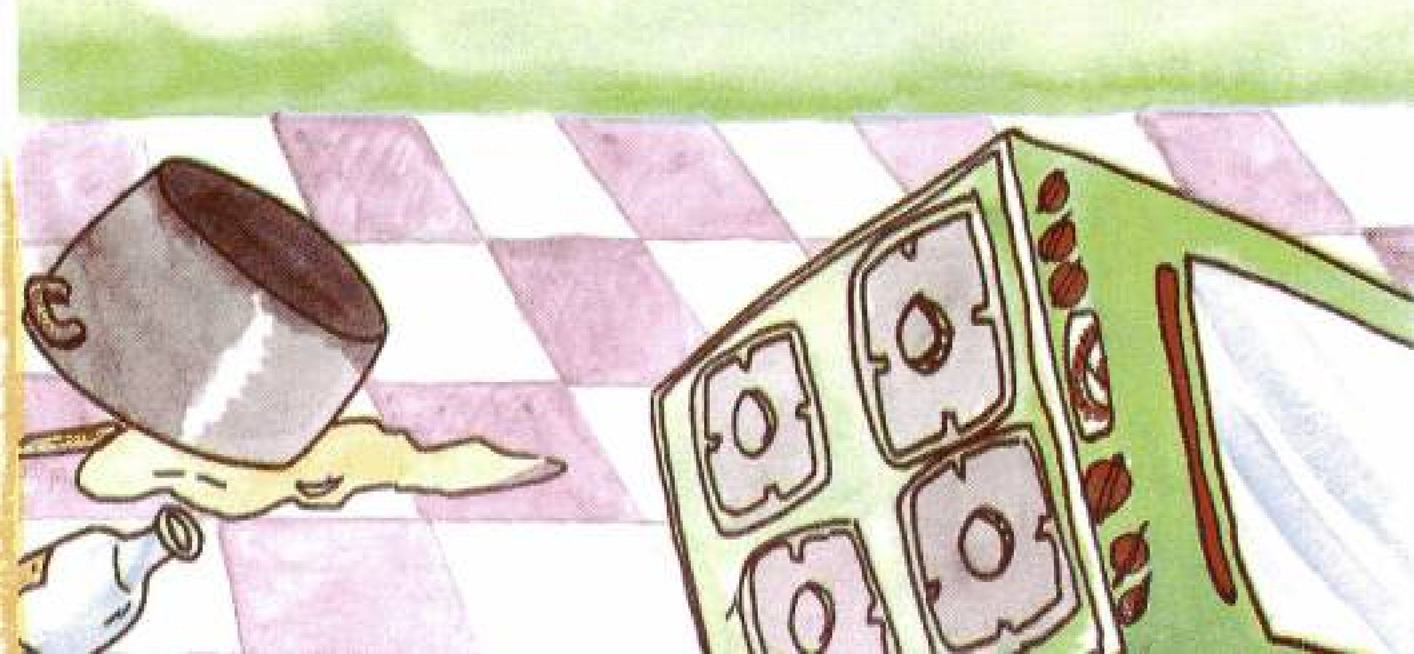
وفى المساءِ، أخذَ الأبُ زوجتَهُ، وذهبَ بها إلى الطبيبِ، وشرح له ما حدثَ.

سألَهُ الطبيبُ:

"هل حدثَ شيءٌ تظنُّ أنه السببُ فى حالةِ زوجتِكَ الفجائيةِ هذه؟"

أجابَ الزوجُ:

"لا أعرفُ ماذا حلَّ بها يادكتور .. إنها مشغولةٌ بغيرِ توقُّفٍ. ومع أنها تعملُ عادةً فى صمتٍ، فإنها تقولُ دائمًا عن نفسِها إنها دخلَتِ المطبخَ منذ عشرينَ سنةً، ولم تخرجْ منه حتَّى الآنَ !!"





قالت إنها تنتظره

خِلالَ الحربِ العالميةِ الثانيةِ، توقَّفتْ آلاتُ إحدى الغواصاتِ عن العملِ، وبقِيَتْ فى أعماقِ المحيطِ عاجزةً عن الحركةِ، وعنِ الصعودِ إلى سطحِ الماءِ.

وبذلتِ القواتُ البحريةُ جهودًا جبارةً، استمرَّتْ يومَيْنِ كاملَيْنِ، لتعويمِ الغوَّاصةِ، لكنَّ كلَّ الجهودِ فَشِلَتْ، وفَقَدَ الجميعُ كلَّ أملٍ فى النجاةِ.

وأحسَّ البحارةُ داخلَ الغواصةِ باليأسِ، وراحَ بعضُهُم يبكِى، أو يهذى، أو يتكوَّمُ على نفسِهِ بغيرِ حراكٍ.

لكنَّ واحدًا فقطْ من البحارةِ ظلَّ محتفظًا بروحِهِ المرحةِ، فكانَ يمرُّ على كلِّ زميلٍ أصابَهُ اليأسُ، ويقولُ له ضاحِكًا:

"ثِقْ أننا سنعودُ .. لقدْ قالتْ لى أمى إنَّها تنتظرُنِى .. لذلكَ أعرفُ أننا سنعودُ !"



ولم يلتفتْ أحدٌ إلى كلماتِ ذلكَ البحارِ المرحِ. وأخذَ هو يتنقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ آخرَ داخِلَ الغوَّاصةِ المغلقةِ، يحاولُ نشرَ جوٍّ مِنَ التفاؤلِ والإيمانِ.

وفجأةً انزلقَتْ قدمُه، ووقعَ فوقَ أحدِ الأجهزةِ. لكنَّ تلكَ الصدمةَ الَّتي وقعَتْ مصادَفَةً، جعلَتْهُ يصطدمُ بجهازِ التعويمِ !! ودهشَ الجميعُ، عندما بدأ الجهازُ يعملُ من جديدٍ !!

وارتفعَتِ الغوَّاصةُ فوقَ سطحِ الماءِ، وعادَتْ إلى مينائها سالمةً، وذهبَ البحارُ ليقابلَ والدتَهُ، الَّتي كانَتْ تثقُ بأنَّهُ سيعودُ !!



الأفعى التى ماتت

كانَ "فولتير"، الكاتبُ الفرنسيُّ الكبيرُ، من أقدرِ الناسِ على السخريةِ مِمَّنْ ينتقدونَهُ.

وذاتَ مرةٍ، كتبَ ناقدٌ أدبيٌّ مشهورٌ مقالاً، انتقدَ فيه بعنفٍ أحدَ كتبِ فولتيرَ الجديدةِ.

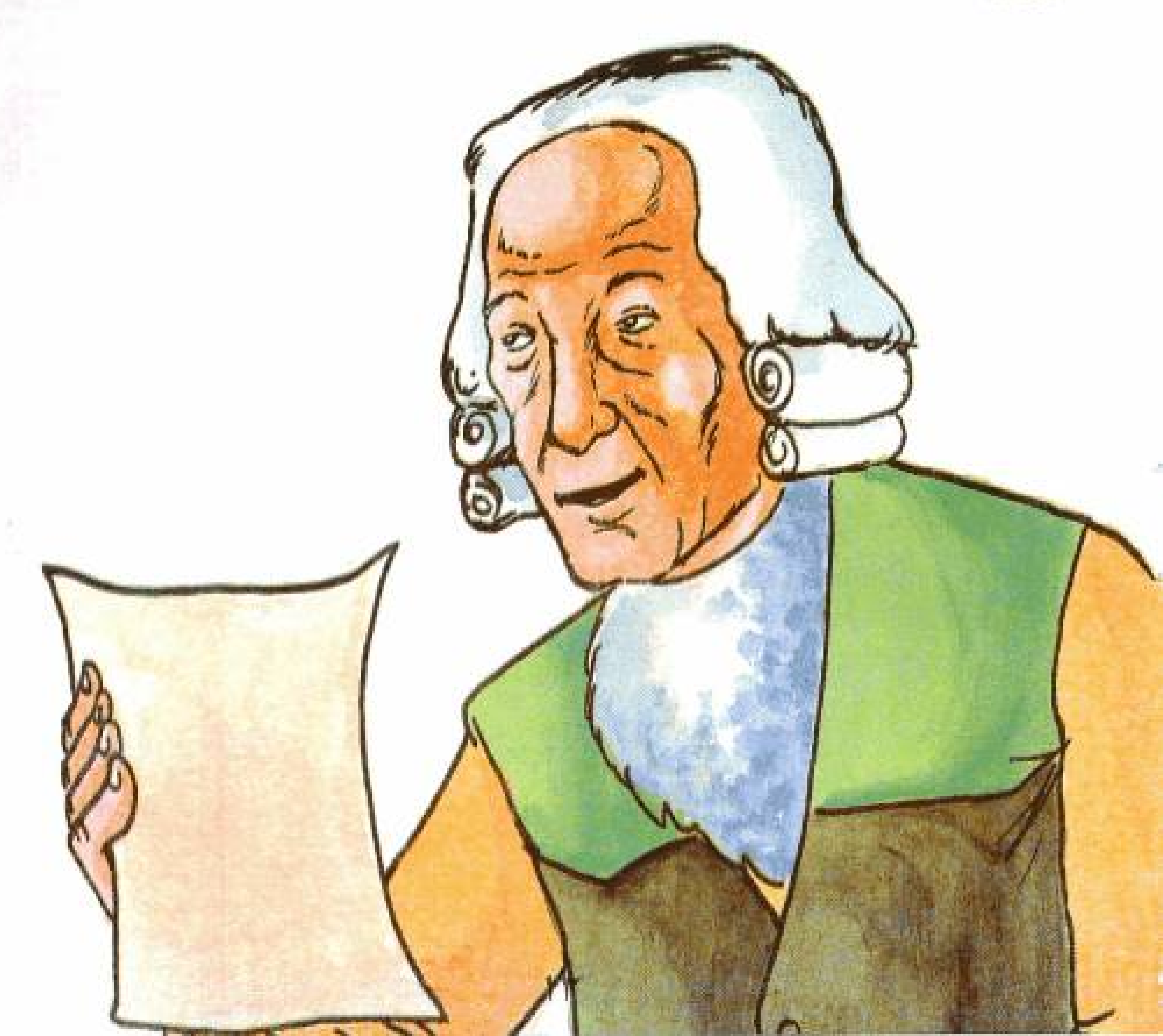


ولم يفعلْ فولتير أكثرَ من أنه ألَّفَ عن ذلك الناقدِ، وكان اسمُهُ "فريرون"، أربعةَ أبياتٍ من الشعرِ، معناها:

"في أحدِ الأيامِ، في قاعِ الوادي، عضَّتْ أفعى "جان فريرون"، فماذا حدثَ له في رأيكم؟ لقد ماتَتِ الأفعى !"

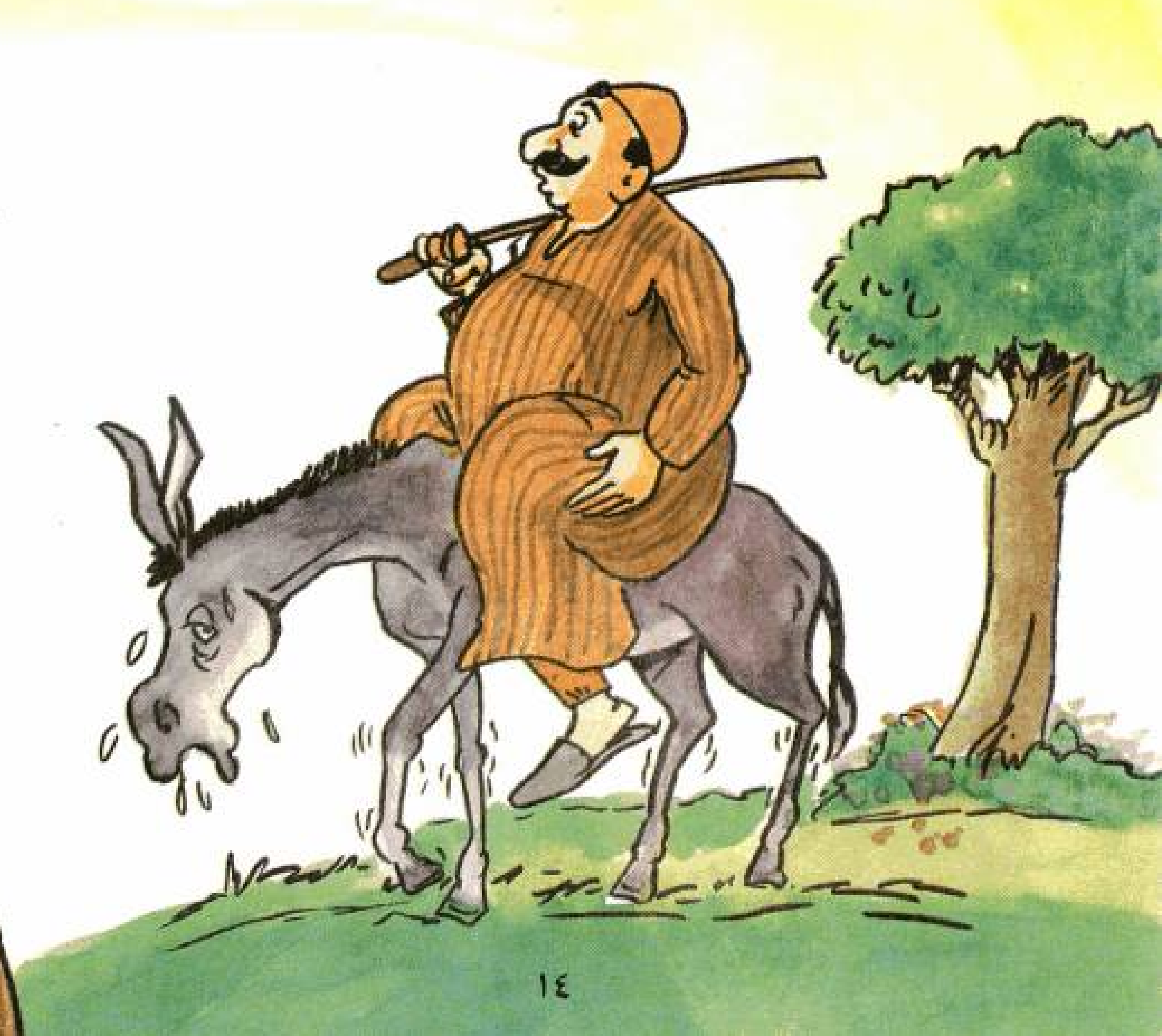
ويقولُ واحدٌ ممن كتبوا تاريخَ فولتير:

"لا أدري إذا كانَتِ الأفعى قد ماتَتْ حقًا، لكنني واثقٌ تمامًا أن الناقدَ فريرون هو الذي مات أدبيًّا، بعد أن ذاعَتْ أقوالُ فولتير عنه!!"



الحمار واللصوص

يُحكى أنَّ رجلاً ثقيلَ الوزنِ ركبَ حمارَهُ العجوزَ، وانطلقَ بهِ في رحلةٍ طويلةٍ، بغير أن يفكرَ فيما يسبّبُهُ لحمارِهِ من تعبٍ وإرهاقٍ. وعندما وصلَ الرجلُ إلى جزءٍ من الطريقِ ينمو على جانبيه كثيرٌ من العشبِ الأخضرِ، نزلَ عن حمارِهِ، وتركَه يأكلُ من ذلك الطعامِ المجانيِّ.



ابتهجَ الحمارُ، وأخـذَ ينهقُ فـى سعادةٍ، فوصل نهيقُه إلى سمعِ عصابةٍ من اللصوصِ، فاقتربوا متسللين لسرقتِه.

رأى الرجلُ اللصوصَ، فنادَى حمارَهُ وقد مـلأه الخـوفُ:"اقترِبْ بسرعةٍ. هيا نهربْ قبلَ أن يستوليَ عليك هؤلاءِ اللصوصُ".

وفى هدوءٍ قالَ الحمارُ: "اهربْ أنـت إذا أردْتَ، أمَّا أنا فلماذا أهربُ؟! لن يضعوا على ظهرى أكثرَ مما تضعُ، فمن كان يشقَى مثلى فى عملِهِ بغيرِ أن يحسَّ من صاحبِهِ برحمةٍ أو شفقةٍ، لـن يهمَّـه أن تكونَ أنتَ صاحبَهُ، أو يكونَ غيرُكَ. إنَّ سوءَ معاملتِك قد قضَتْ على كلِّ حبٍّ لكَ فى قلبى، فانْجُ بنفسِكَ أنْتَ".

وهكذا فقدَ الرجلُ حمارَهُ، لأنه سبقَ أن فقدَ حُبَّ حمارِهِ.



شاى وفطائر

فى أحدِ الأيام، حضرَ جحا حفلَ زفافٍ. ولاحظ جحا أنَّ أحد الرَّجالِ، بعد أن أكلَ كميةً كبيرةً من الفطائرِ، ملأ بغيرِها جيبَهُ أيضًا. عندئذٍ حملَ جحا إبريقًا من الشَّاى، وجاء بهدوءٍ من وراءِ الرَّجلِ، وصبَّ بعضَ الشَّاى فى جيبِهِ.



وعندما اكتشفَ الرجلُ ما فعلَهُ جحا، لم يخجلْ، إنمَّا صاحَ فى جحا قائلاً:

"ما شأنُكَ أنتَ بجيبى، حتَّى تأتِىَ وتصبَّ فيه الشَّاىَ؟"

قالَ جحا فى هدوءٍ:

"إنَّنى لم أقصدْ أىَّ ضررٍ، فعندما رأيْتُ كميةَ الفطائرِ الَّتى حشوْتَ بها جيبَكَ، عرفْتُ أنَّك فى حاجةٍ إلى شاىٍ تشربُهُ وأنتَ تأكلُها !!"



صورة البيت

بسببِ عملِ الوالدِ، اضطرَتِ الأسرةُ أن تنتقلَ من مدينـةٍ إلى مدينةٍ ثلاثَ مراتٍ في خلالِ ستةِ أشهرٍ. وأخيرًا استقرَّ بهم المقامُ في القـاهرةِ، حيثُ ألحقـوا ابنتَهم بالسنةِ الأولى الابتدائيـةِ بـإحدى المدارسِ.

طلبَتِ المُدرِّسةُ من كلِّ تلميذةٍ أن ترسمَ صورةً لبيتِها. وعندما نظرَتِ المعلِّمةُ إلى الصورةِ التي رسمَتْها التلميـذةُ الجديـدةُ، رأتْ منزلاً يقفُ أمامَهُ شيءٌ أسودُ ضخمٌ، فسألَتِ الطفلةَ في حيرةٍ: "ما هذا الصندوقُ الأسودُ؟".

قالَتْ الابنةُ: "هذه هي عربةُ نقلِ الأثاثِ!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها، من الأدب الشعبي، والعربي القديم، والعالمي